

Vatikiotis, P. J., Conflict in the Middle East,
(London: George Allen & Unwin Co., 1971).

في عروبه .

من هنا نرى ان الكتاب لا يسيء الى شعور العرب والمسلمين فحسب ، فجميع علماء السياسة سيكتشفون ان محاولاته في التعصب الديني قد عفا عليها الزمن ، (لا يعتبر الاقتصاد عاملا له علاقة) ، وادعاؤه بان تركيا اصبحت متقدمة ، او كما يعبر عنها هو « اوروبية » ، عندما تخلت عن الاسلام ، هو ايضا ادعاء ساذج . وهناك العديد من الحقائق التي تدحض رايه ولكنه يعرف كيف يزوغ من وجه المشاكل التي يواجهها . فكل لباقة احال مسألة الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية للخبراء المختصين بها لمعالجتها . وعندما قيل له ان المشاكل التي يعاني منها العرب ليست وقفا عليهم وحدهم بل ان غيرهم من الشعوب يعاني منها — الانقلابات العسكرية في امركة اللاتينية اكثر منها في العالم العربي ، والنزاعات الدينية الدموية تحدث بشكل اكثر في ايرلنده ، وافغانستان دولة اسلامية ومع ذلك فانها من اكثر الدول استقرارا ، والحبشة تعتبر من اقدم الدول المسيحية ومع ذلك لم تصبح في مستوى الدول الاوروبية في مضمار التقدم — يرد بكل بساطة « انني اهتم بالوصف ... وليس بالمقارنة » .

لذا كان على فاتيكوتس ، ضمن افقه المحدود ، ان يتبع المنهج الاسهل الذي يعتمد على المثل القائل « لم تبين رومه في يوم واحد » . والواقع لم يكن هناك اية دولة عربية مستقلة في ١٩١٦ ، كما ان عددا من هذه الدول لم ينل سيادته واستقلاله سوى منذ اشهر خلت . وهنا يرتكب المؤلف الخطا الذي عادة ما يرتكبه غيره من المستشرقين وهو التطلع شمالا الى اوروبه بدلا من آسية وافريقية ، ومقارنة كل شيء بما يجري في لندن وباريس بدلا من نييجيرية او باكستان . وعلى طريقتهم ، مضى يشيد هرم سلبياته ، فالثورات المصرية ليست ثورات والجمهوريات العربية ليست جمهوريات ، واصلاحات عبد الناصر ليست اصلاحات ، وهلم جرا . وبالإضافة الى ضمير الس (أنا) نراه مغرما باستعمال كلمة « ما يسمى » : ما يسمى اشتراكية عربية ، ما يسمى دول عربية تقدمية . وما يفوت عن بال فاتيكوتس

غالبا ما يذكرني الكتاب بالجراح الذي لانه نظر في داخل جسدي صار يعتقد ان باستطاعته ان يخبرني ان لا شيء يدعو الى القلق في هذه الحياة . ولو ان الدكتور فاتيكوتس ، استاذ العلوم السياسية في كلية الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن ، حصر مجال دراسته بكونه مؤرخ احداث لقدم لنا مساهمة يشكر عليها . وفي الحقيقة انه يقدم لنا معلومات مفيدة ، مشكوكا بها في بعض الاحيان ، عن التطورات الاخيرة ، خاصة حول بنى منظمات المقاومة وتشرذمها وقادتها ، وكذلك يقدم كتابه صورة محزنة حقا للصراعات والانشقاقات والمؤامرات والانقلابات والضعفات وظهور القبلية والمصوبية وغير ذلك من آلاف الامراض التي يرددها العرب يوميا كما تتحدث عنها صحفهم دائما . ولا جديد في كل ذلك سوى ان فاتيكوتس جمعها في كتاب واحد . ومع هذا فان المادة مفيدة تماما وقليلون هم الذين يمكن ان يعترضوا على صحة الحقائق العميقة من نوع « تركية وايران ليستا عربيتين » . ان كتاب « الصراع في الشرق الاوسط » لا يعالج صراعا معينا بقدر ما يتطرق الى مجموعة من الخلافات والنزاعات ، بما في ذلك عدوان ١٩٦٧ . والصورة المهترئة التي يعرضها تختفي كليا عندما يورد امورا لا علاقة لها بالموضوع عن تركية وايران .

الى هنا كل شيء يسير على ما يرام ، ولكن المؤلف يقع في الفخ عندما يتمادى في مقامته ويحاول تقليد دور الواعظ الحكيم ، فيقول ان الاسلام هو مشكلة العرب ، التي هي عبارة عن اعتماد الرسول على السيف ، واغتصاب الخلافة والقيود التي فرضتها الشريعة والتي كانت مصدر الحكم العسكري والانقلابات وتجزؤ العالم العربي . نجاة يتذكر المؤلف ان تركية وايران مسلمتان . وهنا ايضا يرتكب المزيد من الاخطاء عندما يقول ان الاتراك والفرس ليسوا مسلمين بشكل صحيح . انهم بعيدون عن « عروبة الاسلام » و « الصعوبات السياسية التي يواجهها الاسلام » ، ان لم نقل اخفاه . وهكذا بعد ان استنتج ان المشكلة بالنسبة للعرب هي في كونهم مسلمين ، قام بحركة بهلوانية فرأى ان المشكلة بالنسبة لهذا الدين هي